البعد التواصلي والاجتماعي للغة العربية – لغة الأمثال العربية نموذجا

د. عباس محمد أحمد عبد الباقي، أ. مشارك، كلية التربية، قسم اللغة العربية، جامعة نيالا، السودان.
Dr. Abbass Mohamed Ahmed Abdelbagei, Associate Professor, Faculty of Education, Department of Arabic Language, University of Nyala Sudan.
Email: Abasskbr٥@gmail.com
د. عادل صغيرون تيراب، أ. مساعد، عميد كلية الآداب والآداب والإعلام والفنون، جامعة الملك فيصل، تشاد
Dr. Adil sakhairoun terap Assistant professor Dean Faculty of Letters communiction and Arts King Faysal University Republic of Chad
Email: adilsakhairouterap@gmail.com

الملخص باللغة العربية:

ترمي الدراسة إلى الوقوف على قدرة اللغة التواصلية والكشف عن الاستراتيجيات التي تتبعها في عملية التواصل من خلال علاقتها بالمجتمع وتأثرها بكل ما يدور فيه؛ وذلك لأن اللغة هي العنصر الأساس في استمرار تفاعل المجتمعات عبر التواصل الذي يمثل الوظيفة الرئيسة للغة.

ترتبط عملية التواصل اللغوي بالخطاب التداولي اليومي الذي يركز على المعنى التواصلي لحظة الاستعمال، وتمثل لغة المثل ميدانا تداوليا مهما بسبب ما تتميز به تلك اللغة من خصائص؛ فهي موجزة متماسكة، سهلة، معبرة، سريعة التداول، كما تتجلى في لغة المثل شدة الارتباط بالمجتمع وتصويره في كل حالاته وعكس ثقافته وعاداته وتقاليده.

الكلمات المفاتيح: البعد التواصلي– البعد الاجتماعي– المثل– الخطاب التداولي– المعنى التواصلي.

Abstract:

The study aims to determine the communicative ability of language and revert the strategies its follows in the communication process

through its relationship with society and its influence on everything that nose on in it. This because language it the basic element in the continued interaction of societies through communication which represents the main function of language.

The process of linguistic communication is liked to daily deliberative discourse, which focuses on the communicative meaning at the moment of use. the language of proverbs and important deliberative field because of the characteristics that characterize the language it is: concise, coherent, easy, expressive, and quick to circulate. The intensity of connection with society it is depiction in all its situation and reflection its culture and customs is also evident in the language of proverbs.

Key words: communicative dimension- social dimension- proverbs- pragmatics discourse- communicative meaning.

مقدمة:

إن الناظر إلى مفهوم اللغة عند العلماء قديما وحديثا يجد أن تلك المفاهيم تضمنت ألفاظا وإشارات تكشف عن وظيفة اللغة مثل: (التعبير عن الأغراض والأفكار، اجتماعية اللغة وإنسانيتها علاقتها بالتفاعل، وصف الأشياء والعمليات في البيئة الإنسانية...). تكشف هذه العبارات عن مدى ارتباط الوظيفة اللغوية بمفهوم اللغة وبالتالي تكتسب اللغة أهميتها من الدور الذي تؤديه في عملية التواصل اللغوي.

يظهر الارتباط الشديد بين المجتمع والتواصل اللغوي بجلاء في لغة المثل التي تحمل في مضامينها دلالات اجتماعية وثقافية عن الحياة العامة في المجتمع؛ لأنها تعكس فلسفة وحكمة الشعب النابعة من الواقع الاجتماعي.

أهداف الدراسة: الوقوف على جانب من التأثير والتأثر المتبادل بين اللغة والمجتمع، ومعرفة كيفية توظيف اللغة لقدراتها التواصلية في تمثيل حاجات المجتمع.

مشكلة الدراسة: تعبر اللغة عن كل حاجات المجتمع متبعة استراتيجيات متعددة وفق ما يقتضيه المقام وعليه فإن مشكلة الدراسة تمثلت في معرفة تلك الاستراتيجيات وكيفية توظيفها في التواصل.

أهمية الدراسة: هذه الدراسة محاولة علمية للربط بين اللغة والمجتمع من خلال الأبعاد التواصلية اللغوية وصلتها القوية بالأبعاد الاجتماعية.

منهج الدراسة: اتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

خطة الدراسة: شملت الدراسة مقدمة، ومبحثين، تم في الأول شرح المفاهيم وذكر الأبعاد اللغوية التواصلية وكذلك الأبعاد الاجتماعية، جاء المبحث الثاني دراسة تطبيقية لتلك الأبعاد في بعض الأمثال العربية. وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها: تتشكل الوظيفة اللغوية وفقا لاعتبارات كثيرة منها: شخصية المنتِج والمتلقي ومكان وزمان الخطاب، والظروف التي تكتنف الخطاب اللغوي. توجد علاقة قوية ووطيدة بين الأبعاد التواصلية والاجتماعية للغة. تعد لغة المثل مرآة صادقة تنعكس من خلالها كل الأبعاد التواصلية والاجتماعية للغة.

المبحث الأول: مفهوم البعد التواصلي والاجتماعي للغة

أولا– مفهوم التواصل اللغوي: تعود مفردة (التواصل) إلى الجذر (و ص ل) وذكرت له المعاجم العربية دلالات كثيرة: الاقتران والاتصال والصلة والترابط والالتئام والجمع والإبلاغ والانتهاء والإعلام. أي الوصل: خلاف الهجران والتصارم، يقول ابن منظور: "وصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل ضد الهجران".[١]

أما التواصل اصطلاحا فتعريفاته كثيرة ولكنها لا تبعد عن المعنى اللغوي القائم على التفاعل والنقل، منها:

–"التواصل هي العملية أو الطريقة التي يتصل بها الفكر والمعلومات، بين من يقوم بإصدارها والتعبير عنها وبين من يتلقاها، وما ينتج عن ذلك من تفاعل وتغيرات تختلف باختلاف النسق الذي تتم فيه العملية".[٢]

–"يدل التواصل على عملية نقل الأفكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات...".[٣]

–"التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور.

–"هو العملية التي بها يتفاعل المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة".[٤]

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج٤، مادة (وصل)، ص٣٤٢.

[٢] مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م، ص١٨.

[٣] عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ص٤٧.

[٤] السيد أحمد عفيفي، علم اللغة الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٦٧.

–"تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية، سواء أكان هذا التبادل قصديا أم غير قصدي، بين الأفراد والجماعات".[٥] يتضح مما ذُكر: أن التواصل في مفهومه العام هو التعبير عن الحياة وعن كل نشاطات الإنسان ويشمل كل العمليات التي بواسطتها يؤثر الناس في بعضهم.

يعتمد التواصل على اللغة وبالتالي فإن التواصل اللغوي يعني قدرة اللغة الإنسانية على إنتاج وفهم الألفاظ انطلاقا من تفاعل الطاقات الذهنية والعقلية مع الحاجات التعبيرية المتجددة.[١] إذن يقوم التواصل اللغوي ابتداءً على اللغة لما تملكه من خصائص تجعلها مصدر التعبير الإنساني، وتؤهلها لتكون الضابط للقدرة التواصلية في تعاطيها مع القدرة الفكرية، ومن ثم تضمن اللغة تكامل أركان العملية التواصلية ونجاحها.

ثانيا– مفهوم البعد التواصلي اللغوي: يقصد بأبعاد الشيء: مداه واتساعه وأعماقه وما يتعلق به من أفكار واستراتيجيات مهمة.[٢] وعليه فالبعد التواصلي يعني وصف مدى اتساع عملية التواصل وشمولها وسمات مظاهرها المختلفة، من شدة أو ضعف، ووضوح أو غموض، وسرعة أو بطء، كما يشمل البعد التواصلي كفاءة وقدرة الاستراتيجيات المستخدمة في مدى تحقيق تواصل فاعل ومؤثر[٣]. وبما أن اللغة هي الأساس في عملية التواصل يكون البعد التواصلي اللغوي مدى قدرة اللغة في ربط أركان عملية التواصل وتمثلها لكل حاجات الأطراف المتواصلة الثقافية والاجتماعية والنفسية والتربوية والتعليمية.

ثالثا– مفهوم البعد الاجتماعي اللغوي: إن اللغة لا تنشأ ولا تستخدم ولا تتطور إلا في مجتمع.[٤] ونتيجة لهذا الارتباط بين اللغة والمجتمع برز علم اللغة الاجتماعي الذي عرَّفه العلماء بأنه: "اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي، ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية".[٦] علم اللغة الاجتماعي يعنى بدراسة التأثير والتأثر الواقع بين اللغة والمجتمع بأبعاده المختلفة.

عرَّف علماء الاجتماع البعد الاجتماعي بأنه: "المسافة بين مختلف الفئات في المجتمع، مثل الطبقة الاجتماعية، العرق، الجنس أو الجنسية، القرب أو الحميمية التي يشعر بها الفرد أو المجموعة تجاه فرد أو مجموعة أخرى في شبكة اجتماعية أو مستوى الثقة التي تتمتع بها مجموعة لأخرى ومدى التشابه المدرك للمعتقدات".[٧]

---

(١) المرجع السابق، ص٦٩.

(٢) عبد الهادي بوطالب، الحقوق اللغوية، دار الكتاب، الجزائر، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٧.

(٣) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٣م، ص٤١.

(٤) عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظريات التواصل، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٣.

(٥) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة الاجتماعي، دار المعرفة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص٧٩.

(٦) هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، الأردن، ١٩٩٨م، ص٢٣.

(٧) محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ص١٣.

يشمل البعد الاجتماعي العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، ولا شك أن اللغة هي التي تتولى التعبير عن تلك العلاقات وتدفع الفرد إلى تحقيق غاياته الاجتماعية المبنية أساسا على الفعل التواصلي اللغوي، وعليه فالبعد اللغوي الاجتماعي يراد به السياق الاجتماعي الذي تدور فيه اللغة ويجري التواصل بها بين الأفراد[١]. معنى ذلك أن البنيات اللغوية لها دلالات اجتماعية حيث تعكس اللغة أعراف وتقاليد وثقافة ومعجم وهوية المجتمع، فكل هذه المكونات الاجتماعية تظهر في اللغة بشكل أو بآخر وتمثل بعدا اجتماعيا معينا.

رابعا–الأبعاد اللغوية التواصلية: تنقسم الأبعاد اللغوية التواصلية إلى قسمين: أبعاد تتعلق بالبنية مثل: البعد الصوتي والصرفي، وأبعاد تتعلق بالتركيب، وتشمل البعد النحوي والدلالي والأسلوبي وهي مترابطة بحيث يستحيل الفصل بينها.

١–الأبعاد البنيوية:

أ– البعد الصوتي: ويتضمن معرفة الحروف المكونة للكلمة، فالكلمة تتألف من الصوت والبناء أو هي مبنى ومعنى[٢] قال تمام حسان عن مفهوم الكلمة: "صيغة ذات وظيفة معينة في تركيب ما، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تُحذف أو تُحشى أو يُغير موضعها ويُستبدل بها غيرها في السياق وترجع مادتها إلى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد".[٣] ذكر حسان مكونات الكلمة وهي: الصوت والبناء أو الصيغة والمعنى وهذا يعني أن معنى الكلمة يتأثر بأصواتها وبنائها.

وللأصوات اللغوية وظيفة كبيرة في تشكيل المعنى أطلق عليها الدلالة الصوتية وعرفت بأنها "هي تلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات، فإذا حدث إبدال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى"[٤]. وتتضح وظيفة الصوت الدلالية من خلال القيم الخلافية بين الأصوات في النظام اللغوي، يقول تمام حسان: "فالنظام الصوتي يقسم الأصوات إلى حروف بوساطة اعتبار القيم الخلافية للوظائف أي المعاني التي ترصد للأصوات...ويعتبر الحرف مقابلا استبداليا لكل حرف يمكن أن يحل محله فيحمل بذلك جرثومة سلبية من المعنى الوظيفي، وهكذا نجد القيم الخلافية أهم مقومات التنظيم الصوتي في اللغة وتحرص اللغة على مراعاتها محافظة عل وضوح المعنى".[٥]

---

[١] علي عبد الواحد وافي، علم اللغة الاجتماعي، ص٦٥.

[٢] حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص٢٣.

[٣] تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٣٢.

[٤] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢١٧.

[٥] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م، ص٧٨.

معنى ذلك أن النظام الصوتي يميز بين الأصوات ويجعلها حروفا بالرجوع للقيم الخلافية للأصوات وأن أي حرف يحل محل حرف آخر في أي كلمة لابد أن يكون مختلفا عنه ويحمل معنى جديدا، كما في الكلمات: (طاب، شاب، طال)، الأولى تعني صار طيبا، وفي الثانية تغير المعنى تبعا لعملية الاستبدال بين الطاء والشين، وفي الثالثة كذلك تغير المعنى بسبب اختلاف اللام عن الباء في معناها.

تمثل الدلالة الصوتية بكل مكوناتها من معرفة الصوت ومخرجه وطريقة نطقه وصفاته بعدا لغويا تواصليا مهما، وانطلاقا من الحرص على السلامة اللغوية يحرص المتكلم في المقام الأول على السلامة الصوتية من حيث إنتاج الأصوات ومخارجها وصفاتها تجنبا لما قد يقع فيه من العيوب والتي تؤثر سلبا على العملية التواصلية.

ب– البعد الصرفي: تظهر أهمية البعد الصرفي في أن الصيغة الصرفية للكلمة تؤدي دورا مهما في بيان المعنى، فالدلالة الصرفية هي تلك الدلالة المستمدة من أبنية الكلمات واشتقاقاتها وتقلباتها وصيغها الصرفية وأوزانها وما تحمله من دلالات ومعان[١]. فالصيغ الصرفية لها دلالات غير الدلالات المعجمية للكلمات.

ومفهوم الصيغ الصرفية هي صور وقوالب للألفاظ يتفاعل داخلها مجموعة من العناصر الصوتية والوظيفية لتشكل في النهاية دلالة معينة تطرد عليها جميع الألفاظ في ذلك الباب.[٢] ويندرج تحت الصيغ الصرفية الكثير من المباحث مثل: أبنية الأسماء، أبنية الأفعال، المشتقات، أبنية المصادر، أسماء الأفعال أسماء الزمان والمكان، السوابق واللواحق.

ولا يقف مفهوم الصيغة الصرفية عند حد اشتقاق كلمة من أخرى فحسب؛ بل الصيغة الصرفية تحمل معاني مختلفة تجلبها الزيادات الصرفية بالإضافة إلى المعنى المعجمي للكلمة، وبالتالي فالبعد الصرفي يمكِّن الإنسان من التعبير عن معانيه بدقة ووضوح، ويؤدي دورا كبيرا في التواصل اللغوي وإلى ذلك أشار ابن فارس في كتابه (الصاحبي) في باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع قائلا: "يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين أهدهما الإعراب والآخر التصريف...".[٣]

يرتبط البعد الصرفي بالبعد الصوتي ويشكلان معا وحدة واحدة مهمة في استمرار عملية التواصل اللغوي، فلا يمكن الوقوف على معنى الكلمة دون معرفة كل ما يتعلق بالجانب الصوتي، وكذلك ما يتعلق بالجانب الصرفي.

---

[١] عبد الكريم مجاهد، الدلالة الصوتية والصرفية عند ابن جني، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م، ص٥٤.

[٢] ابن جني، التصريف الملوكي، تحقيق محمد سعيد النعسان، مطبعة التمدن الصناعية، مصر، ١٩٩٣م، ص١٧.

[٣] ابن فارس، الصاحبي، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص١٤٣.

٢–الأبعاد التركيبية:

أ–البعد النحوي: يدرس علم النحو قواعد ربط الكلام وتأليف الجمل، فهو "النظام الذي يتعامل مع الجملة من خلال النظر في العلاقات السياقية التي تنشأ حين تأليف الكلمات فيما بينها، وما يطرأ على تلك العلاقات من خروج عن المألوف في التركيب النحوي للجملة".[١] وقد اتفق العلماء قديما وحديثا على أن النحو منظم وضابط للكلام وقائد إلى المعنى الصحيح لذلك فالدلالة النحوية عندهم تعني: "المعاني المتحصلة من العلاقات النحوية بين الكلمات في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي"[٢].

كل كلمة لابد أن تكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها في التركيب، وعلاقة النحو بالمعنى قديمة قدم النحو نفسه، فقد نشأ النحو خادما للمعنى، ومن ثم كان النحو كله دلالة سواء أكان علامات إعرابية أو أساليب كلامية أم حروف وأدوات نحوية أم قرائن وسياقات.[٣]

وقد نشأ النحو أصلا بدافع محاربة اللحن وحفظ العربية، لذلك وجب على طرفي التواصل الحرص على مراعاة السنن النحوية في الكلام حفاظا على صحة واستمرارية التواصل اللغوي.

ب– البعد الدلالي: علم الدلالة هو علم دراسة المعنى[٤] ، ويعد قمة الدراسات اللغوية؛ لأن موضوعه الأساس هو المعنى ولا يتم التواصل من غير فهم المعنى، وقد شارك في الدرس الدلالي علماء اللغة والمفسرين والمحدّثين والأصوليين والفلاسفة وعلماء النفس وغيرهم لأن المعنى ميدانا مشتركا بين كل هذه التخصصات.

تقوم الدلالة أساسا على العلاقة بين الدال والمدلول من جهة، وبينهما وبين المتلقي من جهة أخرى لذلك فإن قضية (اللفظ والمعنى) شغلت حيزا كبيرا في الدرس اللغوي، وتعددت فيها الآراء قديما وحديثا فبحثوا مقابلة الصوت للمعنى، والمناسبة بين اللفظ وحروفه، وبين اللفظ والحركات والمناسبة بين تقارب الحروف وتقارب المعنى[٥] وغيرها مما يتعلق باللفظ ومعناه، وفي العصر الحديث توسعت الدراسات الدلالية وظهرت نظريات تفسير المعنى وعلاقته بالسياق الاجتماعي والثقافي وبعلم النفس وعلم الاجتماع ويندرج تحت البعد الدلالي الدرس المعجمي الذي يهدف هو الآخر إلى بيان معاني المفردات، كل هذه الجهود تصب في خانة تجويد التواصل اللغوي وتصحيحه.

---

[١] سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٤٠م، ص١١٢.

[٢] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٧٨.

[٣] المرجع السابق، ص٨٩.

[٤] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٢م، ص٦٧.

[٥] ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٧م، ج٢، ص١٥٢.

ج– البعد البلاغي: تلتقي كل مفاهيم البلاغة عند الإيصال والإبلاغ، ذكر ابن الأثير أن البليغ كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة.[١] إذن غاية البلاغة تقديم المعنى للسامع بأقصر الطرق.

إن الميل إلى تحسين الكلام جزء من فطرة الإنسان، وفي العربية منذ العصر الجاهلي جنح الإنسان كثيرا إلى تحسين خطابه، مستخدما كل ما عرفه من فنون بلاغية بيانية أو بديعية، فلجأ إلى التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز وكذلك استخدم السجع والطباق والمقابلة والتورية وغيرها من المحسنات، كما برع العرب في الإيجاز الذي هو أس البلاغة.

وكان الدافع الأول للأخذ بالفنون البلاغية هو جلاء المعنى وبيانه، وجعله مؤثرا عن طريق التمثيل والتوضيح، تارة وعن طريق الإيحاء والإخفاء تارة أخرى، وعن طريق الإيقاع والنغم في اللفظ تارة ثالثة، ولذلك فإن البعد البلاغي يعد جزءاً أصيلاً من بناء النص الدلالي ومؤثرا فاعلا في جذب الانتباه والتلقي وصيرورة العملية التواصلية.

د– البعد الأسلوبي: يمكن تعريف الأسلوب بأنه: "النهج اللغوي الذي يشتقه الأديب لنفسه في خضم المادة اللغوية المتراكمة".[٢] وفي العصر الحديث عُرِّف الأسلوب باعتبار المرسل بأنه: "التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه ولذلك قالوا الأسلوب هو الرجل، وباعتبار المتلقي: هو سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي أيا كان هذا الأثر وباعتبار الخطاب: هو مجموعة الظواهر اللغوية المختارة المشكلة عدولا وما يتصل به من إيحاءات ودلالات."[٣] خلاصة القول الأسلوب هو: "جملة من القواعد الفنية والخصائص الجمالية العامة التي يسترشد ويتقيد بها المرسِل، فهو طريقة التفكير ومذاهب التعبير. وللأسلوب عناصر أساسية هي: اللغة والفكرة والخيال والصورة والعاطفة والإيقاع.[٤] وكذلك للأسلوب صفات تجعله جيدا ومقبولا أو العكس وهي: وضوح الأسلوب وقوة الأسلوب وجمال الأسلوب. يمثل البعد الأسلوبي بعدا عاما شاملا كل الأبعاد اللغوية فهو القالب الذي يصب فيه المنتج مادته اللغوية التي تشكل أساس العملية التواصلية.

ثالثا– الأبعاد السياقية المقامية: يطلق على السياق غير اللغوي سياق الحال أو المقام، ويضم الظروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي.[١] فيشمل المتكلم والمتلقي وتكوينهما

---

[١] ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٩٠م، ص١٧.

[٢] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتب، تونس، ط١، ١٩٨٩م، ص١١.

[٣] نور الدين السيد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٢.

[٤] المرجع السابق، ص٤١.

[١] جاك روبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغموس، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٥٤.

الثقافي، والعوامل الاجتماعية والنفسية، والانفعالات والاستجابات، وأخيرا الآثار المترتبة عن الحدث الكلامي الأمر الذي جعل من سياق المقام أكبر القرائن الدالة على المعنى وعلى استمرار التواصل.

ولا يخفى ارتباط سياق المقام باللغة فالمتكلم يختار مفرداته وفق المقام، والمتلقي يحلل المعنى ويفهمه متأثرا بالمقام، فالتواصل اللغوي هو ثمرة اجتماع عناصر السياق اللغوي وغير اللغوي، وأهم أبعاده هي:

أ–بعد الهدف: يتضمن الهدف أو القصد موقف منتج الخطاب من اختياره لبنية لغوية معينة لتعبر عن غرض محدد يرمي إليه.[١] يساعد وضوح الهدف وفهمه في استمرار التواصل، فإذا خفي الهدف لأي سبب أو لم يتمكن المتلقي من فهمه سينقطع التواصل، وكذلك يضمن وضوح الهدف قوة تأثير الخطاب ويؤمّن وصول المعلومة إلى المتلقي كاملة، ويسهّل على المنتج اختيار الوسيلة والاستراتيجية الملائمة لتحقيقه (مفردات بعينها، أساليب محددة، إشارات، صور، ...). ويقوي وضوح الهدف العلاقة بين طرفي الخطاب (المنتج والمتلقي) وبالتالي يكون المناخ التواصلي أكثر تفاعلا وحيوية.

ب– بعد المقبولية: تتحقق من خلال علاقة الخطاب بالمتلقي وموقفه منه قبولا واستحسانا أو رفضا واستهجانا وكون الخطاب مقبولا هذا يعني أنه متسقا ومنسجما ومفيدا للمتلقي[٢]. لذلك فإن التواصل اللغوي يتأثر كثيرا بهذا البعد ومدى مراعاته أثناء إنتاج الرسالة.

ج– البعد الإخباري (الإعلامي): يحمل التواصل قدرا من المعلومات التي ينقلها للطرفين، كما يتعلق البعد الإخباري بحداثة الرسالة من حيث توقع المعلومات الواردة فيها أو عدم توقعها، لذلك على المنتج مراجعة معلوماته وتجديدها وترتيبها وتقديمها من غير تطويل ممل لا فائدة فيه أو إيجاز مخل لا يفي بالغرض.

د–بعد العدول: ويسمى (الخروج عن مقتضى الظاهر) ترتبط بعض المفردات والعبارات والاستعمالات اللغوية بدلالات معينة تلازم تلك المفردات أو العبارات أو الاستعمالات، ولكن لأسباب تتعلق بأحوال المتحاورين قد يقصد أحد أطراف الحوار معنى ضمني جديد غير مقيد بذلك التلازم الدلالي، وحينها يطلق على هذه المعاني الجديدة (استلزام حواري) أي خروج عن المعنى الأصلي المتعلق بالسياق اللغوي لغرض ما، ويتوزع هذا الاستلزام بين القول والقصد فالقول هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية الظاهرة، والقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه إلى السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال[٣]. يشغل هذا البعد حيزا

---

[١] عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣١.

[٢] إفنيش ميلكا، اتجاهات اللسان، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٥١.

[٣] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٣.

كبيرا في استمرارية التواصل اللغوي المثمر لأنه يحدد الأهداف بدقة ويهتم بالإيجاز غير المخل ويراعي ظروف المقام ومتطلباته.

خامسا– الأبعاد الاجتماعية:

أ–البعد الإنساني: عميلة التواصل اللغوي تمثل النسق الرمزي المميز للفعل التواصلي الإنساني؛ بل هي التي تؤكد طابع الإنسانية في الكائن البشري، إذ يكتشف الإنسان ذاته والعالم المحيط به، يرى البعض: أن الوعي بالذات هو قلب كل تواصل ويتحقق من خلال ربط علاقات حميمة مع الآخرين وصيانة هذه العلاقات وتقويتها.(١)

ب–البعد الفكري: طرح البحث اللغوي عامة عددا من الأسئلة المتعلقة بعلاقة اللغة والفكر منها: هل يمكن أن نقول أن اللغة وسيلة للتعبير عن الفكر؟ وهل هناك فكر مجرد لا يعتمد على اللغة أم أن اللغة والفكر شيء واحد؟ أم أن اللغة هي التي ترسم مسار الفكر وتحدد حدوده؟ تكشف الإجابة عن هذه الأسئلة العلاقة بين اللغة والفكر، ولكن ليس من السهل الإجابة عنها بسبب تعدد الآراء، فلعلماء النفس رأيهم ولعلماء الاجتماع رأيهم ولعلماء اللغة رأيهم، ولا يهمنا كثيراً مناقشة تلك الآراء، ولكن الذي يبدو لنا أن هناك صلة قوية بين اللغة والفكر، من الواضح أن للغة تأثيراً كبيراً على طريقة تفكير الفرد الذي يتكلم لغة معينة إلا أننا لا نستطيع أن نقول أن الفكر يتكون أولاً ثم تتبعه اللغة المعبرة عنه أو بالعكس، وعليه من الأسلم القول بأن اللغة والفكر يعتمد كل منهما على الآخر إلى حد كبير، فنحن لا نستطيع أن نفكر أبعد من قدرتنا اللغوية كما لا نستطيع أن ننطق بما لا نستطيع التفكير فيه.(٢)

ج–بعد العلاقات الاجتماعية: اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية، فتخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من شئون.(٣) فاللغة أصل وجذر كل ما يمكن أن نتصوره من عوامل تكوين المجتمع كالتاريخ المشترك، والدين المشترك، والأدب المشترك، إذ لا يقوم شيء من ذلك بدون اللغة. يقول أحمد السايح: "كيف يمكن تصور تاريخ أو دين أو أدب أو فكر أو إحساس لا يترجم عنه بها، إن الشركة في كل هذه العناصر هي الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة".(٤)

كما تتأثر اللغة بالنظم الاجتماعية فتحمل سمات المجتمع في النواحي السياسية والاقتصادية والدينية وهناك علاقة بين اللغة وسن الفرد وجنسه ذكر أو أنثى، للأطفال لغتهم وللمراهقين لغتهم وللكبار لغتهم

(١) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط/١، ١٩٨٦م، ص٦٧.

(٢) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٨م، ص١٧٨.

(٣) علي عبد الواحد وافي اللغة والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٦م، ص٣٠٧.

(٤) أحمد عبد الرحيم السايح، مقال بعنوان اللغة الإنسانية، مجلة اللسان العربي، العدد الأول، المجلد التاسع، ١٩٧٢م، ص٥٣.

وللنساء لغتهن، ويظهر المعيار الاجتماعي في العلاقة التواصلية بين أطراف الخطاب (صلة قرابة صداقة، عمل مشترك...) هذه العلاقة تتراوح ما بين القرب والبعد أو الدنو والعلو، ويعبر المرسِل عنها بلغة خاصة وبأدوات لغوية كثيرة، وثمة وشيجة قوية بين اللغة واللياقة والأدب، فكثيراً من المجتمعات تحرم كلمات وعبارات معينة متعلقة بموضوعات مختلفة، كالموت والأمراض الخبيثة وكوظائف بعض الأعضاء وتستبدل بها كلمات أخرى فيها شيء من اللطف والذكاء مثل: انتقل إلى جوار ربه، ودخل فلان بزوجه وغيرها من العبارات التي تقبلها النفس ويقبلها المجتمع[١]. كل هذه الأبعاد تحكمها قوانين تعارف عليها المجتمع والتزم بمراعاتها والمحافظة عليها في تواصله اللغوي، فتحية الصباح غير تحية المساء وخطاب الحاكم ليس كخطاب العامة، وكذلك خطاب الوالد والصديق والجار والولد والزوج كلها تختلف باختلاف الصلة بين الأطراف.

د–البعد الثقافي: أكد الأنثروبولوجيون: أن الإنسان لم يعرف الثقافة إلا بعد معرفة الإشارات والرموز والعلامات التي تكون نظام اللغة.[٢] إن نشأة الثقافة ونموها لا يتم دون اللغة التي تحفظ الخبرات والتجارب الإنسانية، وبالتالي فإن فهم اللغة في مجتمع ما يتوقف على فهم ومعرفة الثقافة السائدة في ذلك المجتمع. وإذا كانت اللغة تمثل مجموعة القواعد أو النظام المستقر بصورة تجريدية في ذهن الإنسان فالثقافة كذلك مجموعة من المعايير المادية والمعنوية المستقرة بصورة تجريدية في ذهن أفراد المجتمع ومن خلال هذا الترابط بين اللغة والثقافة تتكون الروابط المشتركة بين المجتمعات في الأفكار والمعتقدات وطرق التفكير والشعور والسلوك المشترك، والتي تنتقل من جيل إلى آخر ويكتسبه عن طريق التفاعل الاجتماعي.[٣]

---

[١] علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار غريب، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م، ص٢٥٢.

[٢] كريم ذكي حسام الدين، اللغة والثقافة دراسة أنثرولغوية لألفاظ القرابة في الثقافة العربية، منشورات كلية الآداب جامعة الزقازيق القاهرة، ط٢ ١٩٨٩م، ص٩٨.

[٣] عبد الحميد لطفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الحامد، عمان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٧٠.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

تعريف المثل: قال ابن فارس: "الميم والثاء واللام أصل واحد يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره والمثل والمثال معنى واحد، وربما قالوا: مثيل كشبيه..."[١] إذن المثل في اللغة يطلق على الشبه والتسوية، أما في الاصطلاح فهو نص عربي نثري قصير قيل في مناسبة معينة، ثم ضُرِب في مناسبة أخرى بجامع التشابه بين المناسبتين، دون تغيير في صيغة النص.[٢]

الأبعاد اللغوية في المثل: تتميز لغة المثل بكونها موجزة، سهلة الحفظ لذلك فهي صادقة، قليلة التحريف فصيحة المفردات، صحيحة التركيب، دقيقة المعنى، حسنة التشبيه.[٣] تضم هذه الخصائص كل الأبعاد اللغوية، المتمثلة في الآتي:

البعد الصوتي: يدرس النظام الصوتي للغة طبيعة الأصوات في اللغة المعنية وصفاتها وتأثيرها الدلالي فدراسة الصوت ومعرفة طبيعته وصفته مهمة في الأداء اللغوي، وقد المحدثون إلى بناء الكلمات كأصوات أكثر منها كمعاني، ورأوا أن التكثيف الذي يلمسه المتلقي في أي النص الأدبي هو حصيلة لبناء الأصوات ومن هنا كان حكمهم بأن الشعر ينقل قبل أن يفهم، كما يؤثرا لاختيار الجيد للأصوات في الآذان وبالتالي وجَّه الأدباء عنايتهم إلى اختيار الأصوات التي تتلاءم وخطابهم الأدبي. ونلمس ذلك جليا في لغة المثل منه: **(تزيين الجسم أسرع من تزيين النفس)** و**(السيف أهول ما يُرى مسلولاً)** و**(أخوك من صدقك النصيحة)** في هذه الأمثال التناغم والجرس الموسيقي واضحا من تكرار حرف السين في المثلين الأول والثاني وكذلك تكرار الصاد في الأخير.

البعد النحوي: إن لغة المثل مع إيجازها الواضح تشتمل على القواعد التركيبية التي تتوقف عليها صحة التأليف فهي تراعي ضوابط الابتداء والإخبار، والتقديم والتأخير، وتذكر القيود والمكملات وفق الحاجة إليها مقيدة بضوابطها، وتتمثل كل الوظائف والأساليب النحوية في لغة المثل. من ذلك قولهم: **(الحَمْدُ مَغْنَمٌ والمَذَمَّةُ مَغْرَمٌ، العاقِلُ مَن يَرَى مَقَر سَهْمِهِ مِن رَمْيتِهِ، عَدوُ الرَّجلِ حُمْقَهُ، إنَّ في الشَّر خيارٌ، دَمعةٌ مِن عَوراءَ غَنيمةٌ بَاردةٌ)** الجمل الواردة في الأمثال كلها جمل اسمية التزمت ضوابط المبتدأ والخبر التزاما كاملا فالمبتدأ فيها إما معرفة، أو نكرة مضافة أو موصوفة يجوز الابتداء، والمبتدأ مقدم على الخبر وإذا تأخر فهناك مسوغ كما في

---

[١] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد المجيد هنداوي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١، ج٤، ص٣٥٤.

[٢] عبد الرازق عبد الرحمن السعدي، المثل العربي دراسة لغوية، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية واللغوي، المجلد السابع، العدد الثاني ٢٠٢٠م، ص٩.

[٣] أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق،ط١، ١٩٨٠م، ص٣٤.

المثل: إن في الشر خيار. وكذلك الخبر جاء مفردا أو جملة أو شبه جملة متماشيا مع القواعد التركيبية ووردت الجملة الفعلية في الأمثال الآتية: (**رَمتنِي بِدائِها وانسلّتِ، خُذ مِن جِذع ما أعْطاكَ، تَزاوروا ولا تَجاوروا، دَعْ الكَذب حَيثُ تَرى أنَّه يَنفعك فإنَّه يضرُك، إيَّاكَ وأعْراضِ الرِّجال**) للجملة الفعلية حضور قوي في المثل العربي، والفاعل فيها غالبا ما يكون ضميرا مستترا، وقد يأتي اسما ظاهرا.

شملت لغة المثل كذلك كل الأساليب العربية مثل أسلوب النداء والأمر والنهي والاستفهام، فمن النداء قولهم: (**يا رُبَّما خَان النَّصيحُ المُؤتَمن**) **ومن الاستفهام**: (**كيفَ أُعاوِدك وهَا أثَر فأسَك، هذِه بِتلك فَهل جَزَيتُك**) ومن الأمر: (**اجْعَله في وِعاءٍ غَيرِ سرِب**) ومن النهي: (**لا تعلِّم اليتيمَ البُكاءَ، لا تبقِ إلا عَلى نَفْسك**) ومن النفي قولهم: (**لا يُطْاعُ لِقصيرٍ أمْر، لن يَهْلكَ أمرئٍ عَرف قَدْرَهُ**) وكذلك ورد أسلوب الشرط ومنه: (**مَن شَابه أبَاهُ فَما ظَلَم، إنْ حالتِ القوسَ فَسهمي صَائِب، إنْ كنتَ ذُقْتهُ فقد أكلتَهُ، إذا اتَّخذتُم يَدا عنْد رَجلٍ فانَسوها**). يتضح مما سبق أن جملة المثل تمثلت كل الأساليب النحوية بتفاصيلها المختلفة.

وقد اتخذا النحويون كثيرا من الأمثال شواهد على قواعد نحوية واحتجوا بها، من ذلك: (**أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَة**) استشهد به النحويون على جواز صياغة اسم التفضل من مصدر الفعل الدال على عيب غير ظاهر.[١] وفي المثل: (**لَوْ ذَاتُ سِوارٍ لَطَمَتْنِي**) استشهد به النحويون على صحة دخول (لو) على الاسم المرفوع بعدها.[٢] وفي المثل: (**تَسْمَعُ بِالمُعِيدِيّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ**) شاهد على أن الفعل (تسمع) وقع موقع المبتدأ وخبره (خيرٌ) لأن الفعل مسبوق (بأن) مضمرة ناصبة فتسبك مع المضارع مصدرا ويكون التقدير: (سماعك بالمعيدي خير من أن تراه) وقيل: (تسمع) فعل مضارع مرفوع واقع موقع السماع فهو مبتدأ وإن لم يكن معه حرف سابك (أن المصدرية).[٣]

---

[١] سامي محمد عباينة، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص٤٣.

[٢] ابن مالك، شرح الكافية الشافي، ١١٢٤/٢.

[٣] عبد الرازق عبد الرحمن السعدي، المثل العربي دراسة لغوية، ص١٣.

البعد الدلالي: لقد كان للمعنى حضور قوي عند العرب فأحسنوا استعماله وتوظيفه في لغة المثل التي تضمنت دلالات كثيرة ارتبطت بحياتهم وبيئتهم، وقد جاء لغة المثل مشتملة على كل الحقول الدلالية متميزة بحسن اختيار المفردة، وصحة المعنى، ويبدو فيها كذلك حسن الجمع والتناسب بين العبارات والمعاني فجاءت الألفاظ على قدر المعاني. من ذلك قولهم: (**إِنَّهُ لَسَاكِنُ الرِّيحِ**) في المثل صورة فنية بديعة تجعلك تحلق بخيالك في آفاق بعيدة. (**دَمْعَةٌ مِنْ عَوْرَاءَ غَنِيْمَةٌ بَارِدَةٌ**) في المثل تلازم بين البعدين الفني والاجتماعي وجمع لطيف بين طرفين متباعدين– دمعة من عين عوراء غنيمة باردة.

(**الناسُ هَوْسَى والزَّمانُ أَهْوَسُ**) صور المثل الإنسان في صراعه مع الزمن في لوحة ملحمية عكست بوضوح مدى الجهد الذي يعانيه الإنسان في الحياة. (**عُقْرَةُ العِلْمِ النِّسْيانُ**) تشخيص فني للعلم وكأنه امرأة لا تنجب كل هذا جاء في عبارة موجزة ومناسبة للمعنى، (**يَدِبُ لَهُ الضَّرَاءَ وَيَمْشِي لَهُ الخَمَرَ**)، تحس في هذا المثل حركة ناتجة من انتقاء المفردات وسبكها في سياق معين، وفي المثل كذلك حذف لحرف (الكاف) هذا الحذف أضاف مزيدا من المعنى فلو قلت (يدب له كالضراء) لأصبحت الصورة باردة ساكنة. (**أَنَّمُ مِنَ الصُّبْحِ**) في استعارة النميمة للصبح جمال لا يدانيه جمال فالصبح يهتك كل ستر ويكشف كل شيء. (**إِنَّكَ لَا تَهْدِي المُتَضَالَ**)، (**هَوْتْ أُمُّه**) تجد في المثلين اقتباس من القرآن ولا يخفى علينا ما في القرآن من إعجاز لغوي عام. (**بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى**) فالسيل قد يراد به الغضب أو الشر أو المأساة أو أي أمر لا تحمد عاقبته. حسبنا القول: إن لغة المثل ضمت مفردات وعبرات منتقاة انتقاء دقيقا بحيث تمكنت من تصوير وتجسيد كل المشاهد وقدمتها في لوحات محسوسة ملموسة، كما أنها استطاعت أن تعبر عن كل ما يدور في الحياة وبالتالي فهي لغة مرنة وواسعة القاموس.

وهكذا تتميز لغة المثل بالانتقاء الدقيق للعبارات التي تصور وتشخص المشهد وتجعله محسوسا ملموسا

البعد البلاغي: يبدو فيها الإيجاز أكثر تكثيفا، وأجود تصويرا، وأوضح وإيقاعا. فالإيجاز متحقق في الأمثال من ذلك، قولهم: (أَحْرَقُ مِن حَمَامةٍ، أَحْمَقُ مِن هَبَنَّقة، جَاءَ بِقَرْنَيْ حِمَارٍ، إِلى حَتْفِي مَشَتْ قَدَمي، بلغ السيل الزبى) تجد في هذه الأمثال كثافة الإيجاز ويتبعها إصابة المعنى ودقة التصوير وبراعة التشبيه.

فمن التشبيهات الأخاذة قولهم: (**الكَذِبُ دَاءٌ والصِّدْقُ دَوَاءٌ، أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ، قَبْلَ الرِّمَاء تُملأ الكَنَائِن**).

وتجد في الأمثال حلاوة الإيقاع الناتج عن التكرار اللطيف للمفردات، كما في: (**جَزَيْته حُذْوَ النَّعْل بالنَّعْلِ الثَّكْلى تُحِبُّ الثَّكْلي، الدَّم الدَّم والهَدْمُ الهَدْمُ، التَّمْرة إلَى التَّمرَةِ تَمْر**) تحس حلاوة الإيقاع في الأمثال أعلاه بسبب تكرار الألفاظ. ومن ضروب التكرار المفضي إلى تزيين اللفظ والمعنى ما عرف بالسجع الذي تزخر به لغة المثل العربي منه: (**قَتْل رحمه الله خيرٌ من فر أخزاه الله، استقبال الموت خير من استدباره، أكلتم تمري وعصيتم أمري، قرب الوساد وطول السواد، من أكثر أهجر**) تتضمن لغة المثل السجع بكل ضروبه وأقسامه ويتداخل أحيانا مع فنون بلاغية أخرى مثل الجناس والطباق والمقابلة. ففي بعض الأمثال جناس يزيد اللفظ جمالا والمعنى قوة ووضوحا كما في: (**جئني به من حسَّك وبسَك، العنُوق بعد النُّوق، غيض من فيض**) كما يظهر في لغة المثل حسن الكناية وبلاغة الاستعارة، من ذلك: (**بيتي يبخل لا أنا، رقيق الحافر، جزاء سنمار، مواعيد عرقوب**).

تمكنت لغة المثل من توظيف كل الفنون البلاغية في تعبيرها فبدا البعد البلاغي في المثل العربي ظاهرا محسوسا متماشيا مع السليقة العربية السليمة.

البعد الأسلوبي: يعرف الأسلوب في العصر الحديث بعدة تعريفات نظرا لتعدد الاعتبارات وهي على النحو باعتبار المرسِل أو المخاطِب: "هو التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه ولذلك قالوا الأسلوب هو الرجل". باعتبار المتلقي والمخاطَب: "هو سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي أيا كان هذا الأثر". باعتبار الخطاب: "هو مجموعة الظواهر اللغوية المختارة المشكلة عدولا، وما يتصل به من إيحاءات ودلالات". إذن الأسلوب هو جملة من القواعد الفنية والخصائص الجمالية العامة التي يسترشد بها الشاعر أو الناثر ويدور في داخل محيطها محاولا في نتاجه الابداعي مطابقتها والتقيد بها.

تتجلى في لغة المثل المبادئ الأسلوبية كلها من اختيار واستبدال وتوزيع وعدول وغيرها، وكذلك تظهر فيه صفات الأسلوب من قوة وجمال ووضوح، ففي الأمثال: (**أشأم مِن دَاحِس، بَرِّقْ لِمَنْ لا يَعْرِفُك، إنَّ مِن البَيَانِ لَسِحْرًا، بَعْضُ القَتْلِ إحْيَاءٌ لِلجَمِيع، تَجري الرِّيَاحُ بِما لا تَشْتهِي السفنُ، يَداكَ أوْكَتَا وفُوكَ نَفَخَ، اخْتَلطَ الحابِل بالنابِل، أخَذَ الشَّيءَ بِرمتِهِ**) في الأمثال المذكورة بدت الصورة اللفظية مرتبطة بالفكرة مبينة موقف الأديب مما يدور في الحياة، وكذلك استعان الأديب بتجاربه الخاصة وسعة خياله في التصوير، كما تجد عنصر العاطفية بارزا موضحا موقف صاحب المثل تجاه ما يجري، كما تجلت في هذه الأمثال عناصر الأسلوب من صورة لغوية وفكرة وعاطفة وخيال، كذلك ظهرت صفات الأسلوب من قوة نابعة من استعمال المفردات المألوفة البعيدة عن الغرابة، ووضوح مصده الدقة في الاختيار اللفظي، وجمال بسبب المطابقة بين الألفاظ ومعانيها.

بعد الهدف: يساعد وضوح الهدف على الاستمرار، ويضمن قوة التأثير وسلامة وصول المعلومة، ويعمل على تقوية العلاقة بين أطراف الخطاب، وقد حقق المثل العربي هذه الجوانب مجتمعة، لما تميز به من إيجاز وجمال، وسلاسة العبارة وسيولتها وفصاحتها وبلاغتها وقوة تأثيرها، ويظهر بعد الهدف في كل الأمثال التي ذكرت سابقا فهي ترمي إلى أهداف وضحة ومحددة فقد تكون أهدافها تربوية تعليمية أو توجيهية إرشادية وغيرها من المقاصد.

بعد المقبولية: ونعني بالمقبولية قبول المجتمع للمثل واستحسانه وتداوله ولا شك أن الأمثال العربية وجدت طريقها إلى القبول بفضل لغتها (لغة الحياة اليومية) ولمداخلة الأمثال والحكم النفس الإنسانية, وموافقتها للطبيعة البشرية, وكانت الأمثال – لجمالها وبلاغتها – أكثر سيرورة وأسرع انتشاراً, وأقدر على البقاء، ولا أدل على ذلك من أنها لا زالت جارية على الألسن متداولة بين الناس جيلا بعد جيل.

الأبعاد الاجتماعية: بجانب الأبعاد اللغوية للمثل؛ فإنه يشتمل على أبعاد اجتماعية كثيرة منها:

الإنساني: يتجلى البعد الإنساني في لغة المثل واضحا في كل الموضوعات التي تناولتها الأمثال، مثل: الأخلاق، التربية، التوجيه والإرشاد...) فتلك الموضوعات هي في الأساس تهم الإنسان وتعالج قضاياه، ففي جانب الأخلاق اهتم العربي بالفضيلة وانعكس ذلك الاهتمام في المثل واضحا منه: (**إِنْ خَيْراً مِنْ الخَيْرِ فَاعِلُه، وإِنْ شَرًّا مِنْ الشَّرِّ فَاعِلُه**) فالمثل لا يصور الحياة الاجتماعية فحسب؛ بل هو بمثابة قانون اجتماعي يخضع له أفراد المجتمع ويتقيدون به.

البعد الفكري: وتبدو الفكرة من موقف الأديب من الحياة ومظاهرها الإنسانية الطبيعية والمصطنعة حيث تختلف الفكرة باختلاف رأي الأديب أو الشاعر، وجاءت الفكرة في لغة المثل واضحة موجزة غير معقدة بعيدة عن الفلسفة والتأمل العميق في لغة المثل العربي وذلك لارتباطها المباشر بالمجتمع ولبساطتها وعفويتها كما في الأمثال: (**أخوك من صدقك النصيحة، إلى حتفي مشت قدمي، تزين الجسم أسرع من تزيين النفس، بلغ السيل الزبى**) الفكرة في هذه الأمثال واضحة سهلة قريبة من النفس والفهم.

بعد العلاقات الاجتماعية: تناول المثل أنواعا كثيرة من العلاقات الاجتماعية كعلاقة الزوجية، الأخوة، الأبوة الأمومة، الصداقة، علاقة الحاكم بالمحكوم، الانضباط، العدالة وغيرها، ورسمت خطوطا عاما ليسير الأفراد بموجبها لكونها ناتجة عن تجارب إنسانية واقعية مفيدة. من ذلك: (**لَوْ غَيْرُ ذَاتِ سِوارٍ لَطَمَتْنِي، لا يُحسِنُ العبْدُ الكَرَّ إلا الحَلْبَ والصَّرَّ، جَلِيس السَوءِ كالقَيْنِ إنْ لم يَحْرِق ثَوبكَ دَخَّنه، أَعْدَى مِن السُّلَيْك، جَاوِر مَلِكا أو بَحْراً، إنَّك لا تَجْنِي مِن الشَّوكِ العِنَب، المَالُ بَعد ذَهاب المالِ مُكتسَب، إنّ البغاثَ بأرضنا يَسْتَنسِرُ**) تناولت هذه الأمثال عددا من القضايا الاجتماعية مثل: التمايز الاجتماعي ومكانة العبد، وعاقبة الصداقة السيئة مع نظرة العربي لبعض المهن، والإرشاد إل حسن اختيار الجار، وظاهرة الصعلكة، والمثل الأخير تحدث عن مدى ضعفهم وهوانهم.

البعد الثقافي: يرتبط البعد الثقافي بالبعد الاجتماعي ارتباطا مفصليا إذ لا يمكن الفصل بينهما، فالمثل في تعبير عن الحياة يصور حالات اجتماعية وثقافية قائمة على العلاقات بين الناس في تعاملهم، فالمثل بجانب كونه خلاصة لتجارب إنسانية طويلة، فهو صورة مباشرة للمجتمع تعكس دوره الثقافي وفكره وقيمه المكونة للمركب من عادات وتقاليد ودين وتاريخ وغيرها من المكونات الثقافية. فقالوا في استحسان المنطق: (**إنَّ مِن البيانِ لسِحْرا**) وفي خذلان الأصدقاء لبعضهم قالوا: (**إنّ الذَّليل لَيْست لهُ عضّد**) وفي الحفاظ على الأرواح وعدم سفك الدماء جاء المثل: (**بَعضُ القَتلِ إحْياءٌ للجَميع**) وقيل لمن يطلب ما لا نفع فيه: (**ثَكلتكَ أُمُّك أيُّ جرْدٍ تُرقّع**) وفي الحديث عن القناعة والجود قالوا: (**حَسْبُكَ مِن غِنىً شَبَعٌ وريٌّ**). وهكذا كشفت لغة المثل عن ثقافة المجتمع فأظهرت ثقافتهم اللغوية بحبهم للفصاحة والبيان، وثقافتهم السلمية بالدعوة إلى حفظ النفس وكذلك بدت حصافتهم وتمييزهم للنافع من غيره، ودعوتهم إلى الكرم والقناعة بالقليل، وكلها جوانب ثقافية اجتماعية سائدة صورتها لغة المثل.

النتائج:

-المثل جنس نثري متميز عن غيره من خلال خصائصه الجمالية.

-شكلت لغة المثل مادة ثرة للدراسات اللغوية خاصة النحوية والدلالية.

-بدت كل الأبعاد اللغوية ظاهرة في الأمثال العربية.

-يشكل الإيقاع جزءا أساسيا من بنية المثل العربي.

-الأبعاد البلاغية أكثر ظهورا من الأبعاد اللغوية الأخرى في لغة المثل.

-تناولت الأمثال مع إيجازها كل القضايا الاجتماعية السائدة في المجتمع.

-تميزت لغة المثل بوضوح وقوة وجمال الأسلوب.

-عكست لغة المثل الصورة الثقافية للمجتمع العربي بكل أبعادها.

الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج٤، مادة (وصل)، ص٣٤٢.

(٢) مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١ ١٩٩٠م، ص١٨.

(٣) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٣م، ص٤١.

(٤) السيد أحمد عفيفي، علم اللغة الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٦٧.

(٥) المرجع السابق، ص٦٩.

(٦) عبد الهادي بوطالب، الحقوق اللغوية، دار الكتاب، الجزائر، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٧.

(٧) عبد الجليل مرتاض، ص٤٧.

(٨) عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظريات التواصل، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٣.

(٩) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة الاجتماعي، دار المعرفة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص٧٩.

(١٠) هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، الأردن، ١٩٩٨م، ص٢٣.

(١١) محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ص١٣.

(١٢) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة الاجتماعي، ص٦٥.

(١٣) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص٢٣.

(١٤) تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٣٢.

(١٥) عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢١٧.

(١٦) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م، ص٧٨.

(١٧) عبد الكريم مجاهد، الدلالة الصوتية والصرفية عند ابن جني، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م، ص٥٤.

(١٨) ابن جني، التصريف الملوكي، تحقيق محمد سعيد النعسان، مطبعة التمدن الصناعية، مصر، ١٩٩٣م، ص١٧.

(١٩) ابن فارس، الصاحبي، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص١٤٣.

(٢٠) سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٤٠م، ص١١٢.

(٢١) محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٧٨.

(٢٢) المرجع السابق، ص٨٩.

(٢٣) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٢م، ص٦٧.

(٢٤) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٧م، ج٢، ص١٥٢.

(٢٥) ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٩٠م، ص١٧.

(٢٦) عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتب، تونس، ط١، ١٩٨٩م، ص١١.

(٢٧) نور الدين السيد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٢.

(٢٨) المرجع السابق، ص٤١.

(٢٩) جاك روبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغموس، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٥٤.

(٣٠) عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣١.

(٣١) إفنيش ميلكا، اتجاهات اللسان، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٥١.

(٣٢) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٣.

(٣٣) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط/١، ١٩٨٦م، ص٦٧.

(٣٤) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٨م، ص١٧٨.

(٣٥) علي عبد الواحد وافي اللغة والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٦م، ص٣٠٧.

(٣٦) أحمد عبد الرحيم السايح، مقال بعنوان اللغة الإنسانية، مجلة اللسان العربي، العدد الأول، المجلد التاسع، ١٩٧٢م، ص٥٣.

(٣٧) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار غريب، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م، ص٢٥٢.

(٣٨) كريم ذكي حسام الدين، اللغة والثقافة دراسة أنثرولغوية لألفاظ القرابة في الثقافة العربية، منشورات كلية الآداب جامعة الزقازيق القاهرة، ط٢ ١٩٨٩م، ص٩٨.

(٣٩) عبد الحميد لطفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الحامد، عمان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٧٠.

(٤٠) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد المجيد هنداوي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١، ج٤، ص٣٥٤.

(٤١) عبد الرازق عبد الرحمن السعدي، المثل العربي دراسة لغوية، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية واللغوي، المجلد السابع، العدد الثاني ٢٠٢٠م، ص٩.

(٤٢) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق،ط١، ١٩٨٠م، ص٣٤.

(٤٣) سامي محمد عباينة، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص٤٣.

(٤٤) ابن مالك، شرح الكافية الشافي، ٢/١١٢٤.

(٤٥) عبد الرازق عبد الرحمن السعدي، المثل العربي دراسة لغوية، ص١٣.

(٤٦) الأصمعي، كتاب الأمثال، ص٧٤.

المراجع

١-أبو الحسين أحمد بن فارس، الصاحبي، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٢-أبو الفتح عثمان بن جني، التصريف الملوكي، تحقيق محمد سعيد النعسان، مطبعة التمدن الصناعية مصر ١٩٩٣م.

٣-الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٧م.

٤-أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ ١٩٨٠م.

٥-أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط/١، ١٩٨٦م.

٦-أحمد عبد الكريم السايح، مقال بعنوان اللغة الإنسانية، مجلة اللسان العربي، العدد الأول، المجلد التاسع ١٩٧٢م.

٧-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٢م.

٨-إفنيش مليكا، اتجاهات اللسان، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩-تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٠-اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م.

١١-جاك روبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين دغموس، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢-جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج٤.

١٣-خليل حلمي، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

١٤-سلمى محمد عباينة، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي، دار الشروق، بيروت، ط٢ ١٩٨٧م.

١٥-سليمان ياقوت، فقه اللغة وعلم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٤٠م.

١٦-ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٩٠م.

عبد الرازق عبد الرحمن السعدي، المثل العربي دراسة لغوية، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية واللغوي، المجلد السابع، العدد الثاني ٢٠٢٠م.

١٧-عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٣م.

١٨-عبد الحميد لطفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الحامد، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.

١٩-عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتب، تونس، ط١، ١٩٨٩م.

٢٠-عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٢١-عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظريات التواصل، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٢-عبد الكريم مجاهد، الدلالة الصوتية والصرفية عند ابن جني، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٣-عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٤-عبد الهادي بو طالب، الحقوق اللغوية، دار الكتاب، الجزائر، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٥-علي عبد الواحد وافي، علم اللغة الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
٢٦-اللغة والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٦م.
٢٧-كريم ذكي حسام الدين، اللغة والثقافة دراسة أنثرولغوية لألفاظ القرابة في الثقافة العربية، منشورات كلية الآداب جامعة الزقازيق القاهرة، ط٢ ١٩٨٩م
٢٨-محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة ط١، ٢٠٠٠م.
٢٩-محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.
٣٠-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٣١-مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١ ١٩٩٠م.
٣٢-هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، الأردن، ١٩٩٨م.
٣٣-نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٨م.
٣٤-نور الدين السيد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط١، ١٩٩٧م.